

رائدات عراقيات

سانحة امين زكي اول عراقية درست الطب

خالد القشطيني

الذكاء ما هو الا قوة ذاكرة. هكذا اعتقد الشاعر الانجليزي شلي والتفاصيل الدقيقة التي يوردها الكتاب مؤشر على ذاكرة عجيبة وقد تجاوزت الطيبة الادبية الثمانين من عمرها لتقول لنا بانها في ايام

المدرسة حفظت مسرحية شوقي مصري كليوباترا بكاملها. ولن اعجب يوما اذا التقيت بها ان تتلو علي ما حفظته. كانت التفاتة موفقة منها ان سمت كتابها هذا ذكريات. اذا كانت هذه الذكريات ممتعة للاديب فهي ايضا مفيدة للمؤرخ والسياسي. فهي تروي مثلا كيف ان العراقيين انفسهم انشقوا بين من آمنوا بعراقية كردستان والموصل ومن رأوا ان المنطق يقضي بضمها الى تركيا. تشير في مناسبة اخرى الى ياسين الهاشمي ووصفه بـ بسمارك العرب. ثم تقف لتدغدغ مشاعر القارئ بقولها ان بسمارك حقق توحيد المانيا. فما الذي وحده ياسين الهاشمي تعرج على مقتل جعفر العسكري فتتذكر ما قاله والدها عندئذ انتظروا... سوف يقتل الضباط بعضهم بعضا تباعا. اثار الكتاب شجوني. وانا اقرأ تبشير تحرر المرأة العراقية هي العشرينيات والثلاثينيات واقارن ذلك بأحوالها الآن تروي كيف ان وزارة المعارف استقصدت معلمة من النرويج لتعلم الطالبات

كرة السلة والطائرة والعباب الميدان والتمارين السويدية. وعندما قبلت تلميذة في كلية الطب كان اول درس تلقته من العميد هو ان عليها الآن كتلميذة طب ان تترك العباءة. اطرف من كل ذلك استندوا تدريس الدين في ثانوية البنات لصبيحة الشيخ داوود التي عرفت بين الناس بالمرأة المسترجلة. فكرست صبيحة دروسها للتقنين طالباتها حقوق المرأة. ومساواتها وما تحملته المرأة المسلمة من ظلم وعبودية باسم الدين. رغم كل ميول سانحة للأدب. فانها عبرت بتواضع والتواضع سمة العلماء. عن عجزها التام من الاحاطة بقواعد النحو العربي. تقول هذا شيء لم استطع استيعابه. افلا يجوز لي ان اعتبر ذلك ايضا جزءا من ذكاء هذه المرأة

التي دائما استمتع بما يكتبه العالم خارج ميدانه العلمي. وهنا هي مذكرات الدكتورة سانحة امين زكي. التي اصدرتها دار الحكمة بلندن بعنوان ذكريات طبيبة عراقية وجدت المتعة متعتين. فعلى خلاف

معظم الاطباء. استندت الدكتورة مسيرتها المهنية كطبيبة من منطلق ادبي. فهي تخرجت من الفرع الادبي في المدرسة وتعلقت بسمنون الادب وتمنت ان تواصل هذه المسيرة لولا تدخل والدها الذي آمن بأن الطب هو المهنة المناسبة للمرأة فحملها على دخول كلية الطب. وهو شيء غريب من فتاة جبلت على التحدي ولكن غريزتها هذه تماوت امام واجب الاحترام للوالدين. وكان هذا لحسن الحظ بالنسبة لمذكراتها التي اخذت طابعا ادبيا ممتعا. هو دون شك انعكاس لبدايتها واهتماماتها الادبية. سانحة امين زكي من اوائل العراقيات اللواتي درسن الطب وكتابتها الغزير ٨٥٠ صفحة يعطي القارئ صورة ظريفة ومفيدة عن بداية كلية الطب في العراق. ومنها مثلا كيف وقفت ضمن طالبات حول جثة رجل والشروع بتشريحيها. تمثل سانحة الشخصية العراقية. فهي مثل الشعب العراقي مزيج اثني غريب من الاصول العربية والكردية

والتركمانية والفارسية. ولكن كل هذه الطوائف والقوميات ذابت في شخصيتها المتكاملة بعيدا عن الحزبات التي يريد البعض ان تمزق شعبها الآن. وهي كأمرأة نراها ايضا تمثل المرأة العراقية في تحديها وتطلعها الى التحرر والحداثة والعصرية. تصف اعتراضها المبكر وامتعاضها من لبس الحجاب مثلا. ذكريات طبيبة عراقية موسوعة اجتماعية وسياسية وتاريخية. نراها تعطينا وصفا دقيقا وظريفا للبيوت التقليدية والعادات العراقية ووسائل السفر والنقل ومدارس البنات في اول نشونها. وتعني كل ما تقول بالاشعار والاذاني الشعبية الطريفة. ولا يفتوتها شيء مما يحمل روح السخرية والطرافة والدلالة العميقة. فعندما تستشهد بالاناشيد المدرسية لا يفتوتها ذكر ما كانوا ينشدونه عند الاصطفاف. وما اصدق ما انشدوه هناك من يؤمن بأن

ذكريات
طبيبة عراقية

الدكتورة سانحة امين زكي

دار الحكمة
لنجد